غصون الفجر

د. محمود الحليبي - السعودية

تقولين : نم فالليل أمسى مودعا ... وكادت غصون الفجر أن تتفرعا

ألم تر أن الليل خفت ركابه ... وسافر يبغي غير ربعك أربعا؟

ألا تسمع الأطيار تعزف لحنها ... وتنقر شباك الصباح ليطلعا؟

وحتام تقضي الليل جفناً مقرحاً ... وحتام تقضيه فؤاداً مروعا؟

يساورني شك بأنك عاشق ... وأنك في أخرى غدوت مولعا

وإلا فما بالي أراك مسهداً ... ولا هنئت عين ولا طبت مضجعا

أجبني برب البيت لا صبر في دمي ... لمثلك مثلي أن تخاف وتجزعا

فقلت : أجل عذراء حالمة الرؤى ... تجنن إذ تبدو وتسحر برقعا

خليلية يصغي لغنوتها المدى ... وشرقية في الحسن لا تقبل ادعا

فلا تعذلي صباً أذابت فؤاده ... وبات يقضي الليل سهداً وأدمعا

أجل إنه الشعر الأصيل حبيبتي ... ألاحقه - والله- قفلاً ومطلعا

إذا عنّ لي بيت نهضت كأنني ... رزقت بمولود وداع به دعا

أحب أصيل الشعر ويحي أحبه ... وإن سامني الصد المرير وجرعا

فما الشعر عندي غير ألف عشقته ... وأعذبه ما كان بكراً ممنعا

بريء لساني من قصيد ملفق ... لأني أعاف الثوب ثوباً مرقعا

تعودت نظم الدر أما خلافه ... فأرميه أرضاً بل وشلواً مقطعا

وعودتهم شعراً يذيب شغافهم ... ويخلبهم قلباً وعقلاً ومسمعا

بأي معان أم بأية أحرف ... ألاقي بها جمعاً إلى تطلعا

وكيف وهذي فجرُ تاهت ينابع ... غدا في سماء الفكر للشمس مطلعا

تغرب عنها ثم عاد مولها ... تسابقه الأشواق حباً ومنزعا

أتى مشعلاً للفكر والأدب الذي ... إذا مسه غصن النباهة أينعا

ومد لها كف السماحة والندى ... وحيا لها هذي البدور وجمعا

وأضحت له الأيام نشوى خصيبة ... وقد شكل الأحداد منها ونوعا

أبا مازن عذراً إذا الحرف عقني ... رأى القول فيكم - لا محالة - مصرعا

وماشيمتي مدح الرجال سوى أنني
أحس بعشق للفضائل في دمي
وأبصرت فيكم للأصالة معقلاً
فلله كم يحوي فؤادك حكمة
ولله كم ناضلت من أجل ضادنا
ويا سيدي بيني وبينك موثق
أحبك منذ لاقاك في الله خافقي
شفى الله عيناً قد رأتك وما غضت
لعيني من عينيك يا شيخ قصة
رأى العمر في نيل المكارم سلماً
وأسرجت يا شيخي خيولك للعلا
كريماً وفي كفيك أثار حاتم
أنيساً وفي جنبيك روح خفيفة
أديباً يغني الحرف فوق سطوره
تفوح الليالي منك عطراً وروعة
أبا مازن وارفع جبينك إنني
ملأت قلوب الناس حبا وهيبة
ألا أكرم الرحمن أرضاً حللتها
وأنت وقد أدركت أسرار يقظتي
أقلي علي اللوم يا أم صبيتي
أأصمت؟ كلا ؛ لو فعلت وأحرفي
أأحبس أنفاسي وهذي ثغورهم
أأغمض طرفي عن ربيع رأيته
دعيني فقد أهديت ليلي لمثلهم

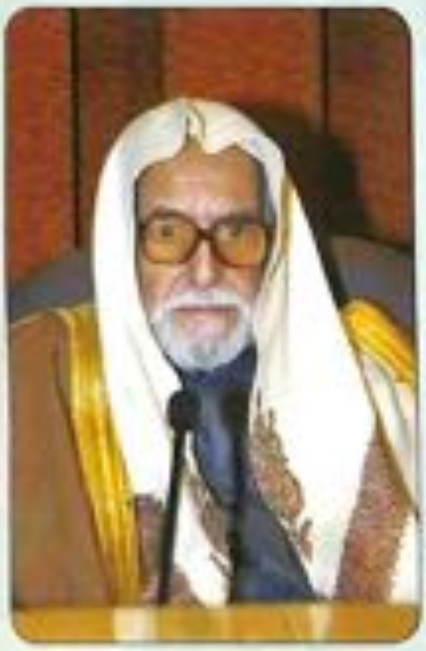

أراني شغوفاً بالأريب ومولعا
وإني بكم للفضل ألفيت مجمعا
ونبعاً لآداب وأصلاً ومرجعا
تبيت لها رؤس الجهالة صدعا
وخلفت أنفاً للحداثة أجدعا
فخذه على أوتار قلبي موقعا
رأيت حمام الأنس حولي وقعا
ونبض حيي ما استجاش وأسرعا
لشهم بماء المكرمات تضلعا
ينال بها أسمى الصروح وأرفعا
فكنت لها ندباً أريباً وأروعا
حكيماً وقد أحييت فينا القنعا
عظيماً على عرش التواضع ربعا
وتأتي القوافي بين لحييه خضعا
وتدنو قلوب الناس منك لتسمعا
أناشدك المولى كفاك تواضعا
فكنت وإياهم فؤاداً وأضلعا
ولا زلت في خير عليها ممتعا
وأسفار أفكاري وما راع أو رعى
فإني امرؤ ما عاد إن قلبه سعى
جبال لجاءتني من الصدع خشعا
شداها بأنفاس السرور تضوعا
ولاقت به غزلان فكري مرتعا
وصيرته حقلاً لشعري ومصنعا